أقوال الأئمة السُنّية في مؤسس الدعوة الوهابية

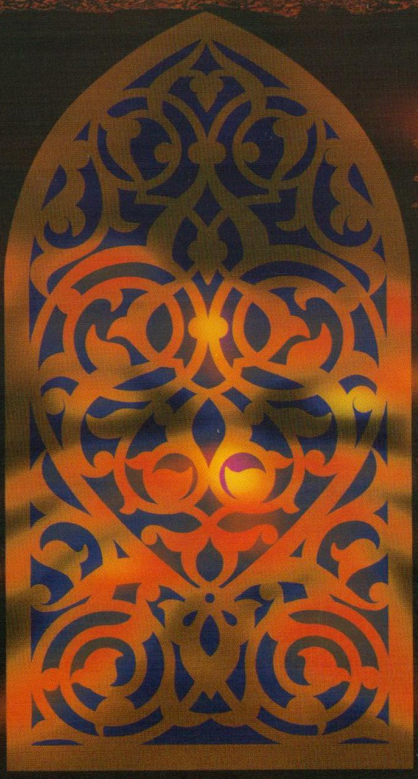

اعداد
عادل كاظم عبدالله

مكتبة فدك

أَقوال الأَئمة السُنّية
في
مؤسس الدّعوة الوهابيّة

أَقوال الأَئمة السُنّية
في
مؤسس الدّعوة الوهابيّة

إعداد

عادل كاظم عبدالله

مكتبة قرآن

سرشناسه : عبدالله، عادل‌کاظم، ۱۹۸۰- م.، گردآورنده
عنوان و نام پدیدآور : اقوال‌الائمه‌السنیه فی موسس‌الدعوةالوهابیه/ اعداد عادل‌کاظم عبدالله.
مشخصات نشر : قم: مکتبه فدک، ۱۴۴۳ ق.= ۲۰۲۲ م.= ۱۴۰۱.
مشخصات ظاهری : ۵۶ ص.: ۵/۲۱×۵/۱۴ س‌م.
شابک : 978-622-92714-2-1
وضعیت فهرست نویسی : فیپا
یادداشت : زبان: عربی.
یادداشت : کتابنامه: ۵۳ - ۵۴؛ همچنین به صورت زیرنویس.
موضوع : اهل سنت -- دیدگاه درباره وهابیه
Sunnites-- Views on Wahhabiyah
وهابیه -- دفاعیه‌ها
Wahhabiyah -- Apologetic works
وهابیه -- ردیه‌ها
Wahhabiyah -- Controversial literature
رده بندی کنگره : BP۲۰۷/۶
رده بندی دیویی : ۲۹۷/۲۱۶
شماره کتابشناسی ملی : ۹۰۹۲۲۵۵
اطلاعات رکورد کتابشناسی : فیپا

أقوال الأئمة السنية في مؤسس الدعوة الوهابية

عادل كاظم عبد الله

الناشر:	مكتبة فدك
المطبعة:	باقري
الكمية:	٣٠٠ نسخة
الطبعة:	الاولى
القطع:	رقعي
عدد الصفحات:	٥٦ صفحة
تاريخ الطبع:	٢٠٢٣ م - ١٤٤٤هـ.ق

شابك: ١-٢-٩٢٧١٤-٦٢٢-٩٧٨

ايران - قم - شارع صفائية - مجمع الإمام المهدي(عج)
الطابق الأرضي - رقم ١١٦،١١٧ - تلفون: ٠٢٥-٣٧٧٤٥٧٠٥
قم - شارع معلم - مجتمع ناشران
رقم ٤٣ - تلفون: ٠٢٥-٣٧٨٣٣٦٢٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، بارئ الخلائق أَجمعين، والصّلاة والسّلام على خاتم الأَنبياء والمرسلين سيدنا ونبيّنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين الهداة الميامين.

المدخل:

الدعوة الوهابية النجدية التكفيرية، التي ابتدعها محمد بن عبدالوهاب بن سليمان التميمي النجدي، وأَعلنها جَهراً في عام ١١٥٣هـ بعد وفاة والده -الفقيه الحنبلي- الذي لم يكن راضياً عَنْ سُلوك ولده وأَفكاره، وفي عام ١١٥٧هـ كان انتقاله إلى منطقة الدرعية وتحالفه مع أَميرها محمد بن سعود، وعُقد

بينهما اتّفاق أَنّ يشرعا في حملة عسكرية توسعية باسم الدين والتوحيد، تَكونُ فيها الزّعامة الدنيوية لآل سعود، والزّعامة الدينية لمحمد بن عبدالوهاب وذُرّيتهُ التي تُعرف اليوم بأُسْرة آل الشّيخ.

وعبر تَكفير كُلّ مَنْ لم ينتمي لهذهِ الدعوة الوهابية، واستحلال دمهِ وماله، وقعت غزوات دموية رهيبة، طالتْ مُختلف مناطق نجد والحجاز وصولاً إلى الأَحساء والقطيف والكويت والعراق والبحرين وعُمان والشّام، وارتبكوا مجازر رهيبة في الطائف والأَحساء ومكة المكرمة وكربلاء المقدسة وفي غيرها من البّلاد بحُجة كُفْرِ أَهلها!! وهُمْ يُعيدون بذلك سيرة الخوارج كلاب أَهل النّار، ولا يزال العالم يُعاني مِنْ هذا الفكر التكفيري الذي أَنتج جماعة جُهيمان، وتنظيم القاعدة، وتنظيم داعش، وجبهة النُصرة،

وجيش الصحابة، وجماعة التوحيد والجهاد، وجماعة أَنصار الفرقان، والجماعة السلفية الجهادية وغيرها من جماعات الكراهية والقتل والتفجير والتكفير.

وقد تصدى أَئمة المسلمين وأَعلام الدين مِنْ كافة المذاهب لردّ عادية التكفير الوهابي للأُمة الإسلامية وإباحته لدماء المسلمين وأَموالهم، وصدرتْ في هذا المجال مئات من الكتب والدراسات والقصائد الشعرية.

وفي هذا البحث أَستعرض أَقوال بعض أَئمة المذاهب السُنّية الذين واجهوا التكفير الوهابي، وهم:

١-إِمام الحنفية ومفتي الديار الشامية محمد أَمين بن عابدين الدمشقي الحنفي المتوفى عام ١٢٥٢هـ.

٢-إمام الحنابلة ومفتي المذهب الحنبلي في مكة المكرمة محمد بن عبد الله بن حُميد النجدي الحنبلي المتوفى عام ١٢٩٥هـ.

٣-إمام الشافعية ومفتي المذهب الشافعي في مكة المكرمة أَحمد بن الزيني دَحلان المكي الشافعي المتوفى عام ١٣٠٤هـ.

واخترت هؤلاءِ لكونهم أَئمة المذاهب السُنّية في زمانهم، وكانوا المرجعية الدينية لأَتباع المذاهب الحنفية والشافعية والحنبلية، فهم رؤوس المذاهب السُنّية المتّبعة، حتى يعلم شَباب أَهل السّنُة أَنّ أَهل السّنُة ليسوا وهابية، وأَنّ الفِكرة الوهابية والفِرقة الوهابية الدموية خارجة عَنْ أَهلِ السّنُة، فهي لا تُمثّل أَهلَ السّنُة رغم استيلائها على مُسمى أَهل السّنُة.

وأَنّ علماء المذاهب السُنّية في تلك الفترة الزمنية رفضوا الوهابية، وأَنْكروا عليها، وردوا أَفكارها التكفيرية ولم يجاملوها كما فعل علماء أَهل السّنُة في العقود المتأخرة، الذين سكتوا خوفاً وطمعاً،

وتسببوا بِضياع عشرات الآلاف من الشباب والفتيات الذين اعتنقوا التكفير الوهابي الإرهابي والمجسّم باعتقاد أَنه منهج أَهل السّنُة.

فالوهابية لا تُمثل أَهل السّنُة، وإني أَقول هذهِ الحقيقة إنْصافاً لأَهل السّنُة، رغم الخلاف القديم بين الشيعة الإمامية وبين أَهل السّنُة، وقولي هذا استجابة وطاعة لقول الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

والله المسدد للصواب بمنه وكرمه،،

الراجي عفو ربه وشفاعة جده

عادل كاظم عبدالله ـ الكويت

الرابع من جمادى الأولى ١٤٤٤هـ

الفصل الأول

١ ـ إمام الحنفيّة ومُفتي الدّيار الشاميّة محمد أَمين بن عابدين الدمشقي الحنفي، المتوفى عام ١٢٥٢هـ.

قال في كتابه الفقهي الشهير (رد المحتار على الدُرّ المختار) في باب البغاة:

«كما وقع في زَماننا في أَتباع ابن عبدالوهاب الذين خَرجوا من نجد، وتَغلّبوا على الحرمين، وكانوا ينتحلون مذهب الحنابلة، لكنهم اعتقدوا أَنهم هُم المسلمون، وأَنّ مَنْ خالف اعتقادهم مُشْركون، واستباحوا بذلك قتل أَهل السُنّة وقتل عُلمائِهم، حتى كَسَرَ الله تعالى شوكتهم، وخَرّب بِلادَهم، وظَفَرَ بهم عساكر المسلمين عام ثلاث وثلاثين ومائتين وأَلف».

وكعادة الوهابية بل عامة المخالفين بتحريف النّصوص والتلاعب في الكُتب وتحريف الأَقوال، تَعرّض هذا الكتاب الشهير للتحريف في طبعة دار عالم الكتب، والتي تمّ طبعها على نفقة الأَمير السعودي الوليد بن طلال بن عبدالعزيز آل سعود، حيث لم يكتفوا بحذف الفقرة السابقة بل تمّ حذف باب البغاة كاملاً !!.

إنّ تُراث أَهل السّنُة يُشكّلُ عائقاً أَمام الوهابية، فلا بدّ لهم من التّخلص منه، ومِنْ أَبرز طُرقهم في ذلك الحذف من الكتب وتزوريها.

وهُمْ بذلك يقتدون باليهود المجرمين الذين قال الله -تعالى- عنهم: ﴿**مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ**

قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ .

* * *

الفصل الثاني:

٢- إمام الحنابلة ومُفتي المذهب الحنبلي في مكّة المكرّمة محمد بن عبدالله بن حُميد النّجدي الحنبلي المتوفى عام ١٢٩٥هـ.

له كتاب شهير في تراجم الحنابلة اسمه (السّحب الوابلة على ضَرائح الحنابلة) ترجم فيه لوالد محمد بن عبدالوهاب ولم يترجم لمحمد بن عبدالوهاب وأَتباع دعوته رغم زعمهم بأَنهم حنابلة.

قال في سيرة عبدالوهاب بن سليمان التميمي النجدي: «..توفي سنة ١١٥٣هـ، وهو والد محمد صاحب الدعوة التي انتشر شررها في الآفاق، لكن بينهما تباين مع أَنّ محمداً لم يتظاهر بالدعوة إلا بعد موت والده، وأَخبرني بعض من لقيته عن بعض أَهل العلم عمن عاصر الشيخ عبد الوهاب هذا أَنه كانَ غَضباناً على ولده محمد لكونهِ لم يرض أَنْ يَشتَغل بالفقهِ

كأَسلافهِ وأَهلِ جهتهِ، ويتفرّس فيه أَنْ يَحدُث منه أَمر، فكان يقول للنّاس: (يا ما ترون من محمد من الشّر)، فَقَدّر الله أَنْ صار ما صار.

وكذلك ابنه سليمان أَخو الشيخ محمد كان مُنافياً له في دعوته، ورَدّ عليه رَداً جيّداً بالآياتِ والآثار لكون المردود عليه لا يقبل سواهما ولا يلتفتُ إلى كلام عالم مُتقدّماً كانَ أو مُتأخراً، كائناً مَنْ كان غير الشيخ تقي الدين ابن تيميه وتلميذه ابن القيّم فإنّه يرى كَلامهُما نَصاً لا يقبل التأويل، ويَصولُ بهِ على النّاس، وإِنْ كانَ كلامهُما على غير ما يفهم.

وسمى الشيخ سليمان رده على أَخيه (فصل الخطاب في الرد على محمد بن عبدالوهاب) وسلّمه الله مِنْ شرّه ومِكْرِه مع تلك الصولة الهائلة التي أَرعبت الأَباعد، فإنّه كان إذا باينه أَحداً، وَرَدّ عليه، ولم يَقدر

على قتلهِ مُجاهرة، يُرسلُ إليه مَنْ يغتاله في فراشهِ أو في السوق ليلاً، لقولهِ بتكفيرِ مَنْ خالفهُ واستحلال دمه...»[1].

* * *

١ـ السّحب الوابلة على ضَرائح الحنابلة، ابن حميد النجدي الحنبلي، ص ٢٧٥-٢٧٦، ط الأولى، مكتبة الإمام أحمد، ١٤٠٩هـ.

الفصل الثالث:

٣- إمام الشافعيّة ومُفتي المذهب الشافعي في مكة المكرمة أحمد بن الزيني دَحلان المكي الشافعي المتوفى عام ١٣٠٤هـ.

قال في كتابه الشهير (خُلاصة الكلام في بيان أُمراء البلد الحرام): «(ابتداء فتنة الوهابية مع الردّ عليهم بما يُبطل ما ابتدعوه سنة ١٢٠٥هـ).

وفي هذهِ السّنة كانَ ابتداءُ الحرب والقتال بين مولانا الشريف غالب وطائفة الوهابية التابعين لمحمد بن عبدالوهاب في عقيدته التي كَفّر بها المسلمين، وينبغي قبل ذِكر المحاربة والقتال، ذكر ابتداء أَمرهم وحقيقة حالهم فإنّ فتنتهم مِنْ أَعظم الفتن التي ظَهَرتْ في الإسلام، طاشَتْ مِنْ بلاياها العقول، وحار فيها أَرباب المعقول.

وكان ابتداء ظهور محمد بن عبدالوهاب سنة أَلف

ومائة وثلاث وأَربعين، واشتهر أَمره بعد الخمسين، فأَظهر العقيدة الزائغة بنجدٍ وقُراها، فَقامَ بنُصرتهِ وإظهار عقيدتهِ محمد بن سعود أَمير الدرعية بلاد مُسيلمة الكذّاب، فَحَمَلَ أَهْلَها على متابعة محمد بن عبدالوهاب فيما يقول، فتابعهُ أَهلها، وسيأتي ذكرُ شيءٍ من عقيدته التي حمل الناس عليها، وما زال يُطيعه على هذا الأَمر كَثيرٌ مِنْ أَحياء العرب، حي بعد حي حتى قوى أَمرهُ فخافته البادية، وكان يقول لهم: إنّما أَدعوكم إلى التوحيد وترك الشرك بالله، فكانوا يمشون معه حيثما مشى ويأتمرون له بما شاء حتى اتّسع له الملك.

وكانوا في مبدأ أُمورهم قبل اتّساع مُلكهم وتطاير شرورهم راموا حجّ البيت الحرام، وكان ذلك في دولة الشريف مسعود بن سعيد بن سعد بن زيد فأرسلوا

يستأذنونه في الحجّ، وأَرسلوا قبل ذلك ثلاثين من علمائهم ظَناً منهم أَنهم يُفسِدون عقائد علماء الحرمين ويدخلون عليهم الكذب والمين، وطلبوا الإذن في الحجّ ولو بمُقرّر يدفعونه كُلّ عام، وكانَ أَهلُ الحرمين يسمعون بظهورهم في الشرق وفساد عقائدهم ولم يعرفوا حقيقة ذلك، فَأَمر مولانا الشريف مسعود أَنْ يُناظر علماء الحرمين العلماء الذين أَرسلوهم، فناظروهم فوجدوهم ضحكة ومَسخرة كحُمُر مُستنفرة فَرّت مِنْ قَسورة، ونَظَروا إلى عقائدهم فإذا هي مشتملة على كثيرٍ من المكَفّرات، فبعد أَنْ أَقاموا عليهم البرهان والدليل أَمر الشريف مسعود قاضي الشرع أَنْ يكتب حُجّة بِكُفرهم الظاهر ليَعلمَ بهِ الأَول والآخر، وأَمَرَ بِسجنِ أولئك الملاحدة الأَنْذال، ووضعهم في

السّلاسل والأَغلال، فَسجنَ منهم جانباً وفَرّ الباقون ووصلوا إلى الدرعية وأَخبروا بما شاهدوا، فَعَتا أَمِرهم واستكبر، ونأى عَنْ هذا المقصد وتأَخر.

حتى مَضَتْ دولة الشريف مسعود وأُقيم بعده أَخوه الشريف مُساعد بن سعيد فأَرسلوا في مُدّته يستأذنون في الحجّ، فأَبى وامتنع من الإذنْ لهم، فَضَعفتْ عَنْ الوصول مطامعهم.

فلما مَضَتْ دولة الشريف مُساعد وتَقلّد الأَمر أَخوه الشريف أَحمد ابن سعيد أَرسل أَمير الدرعية جماعة من علمائه كما أَرسل في المدّة السابقة فلما اختبرهم علماء مكة وجدوهم لا يتدينون إلاّ بِدينِ الزنادقة، فأَبى أَنْ يُقرّ لهم في حِمى البيت الحرام قرار، ولم يأذن لهم في الحجّ بعد أَنْ ثَبَتَ عند العلماء أَنّهم كُفّار كما ثَبَتَ في دولة الشريف مسعود.

فلمـــا أَنْ ولي الـــشريف سُرور أَرســـلوا أَيـــضاً يستأذنونه في زيارة البيت المعمور فأَجـابهم: بـأَنّكُمْ إِنْ أَردتم الوصول آخُذ منكم في كُلّ سَنَة وعامَ صرمة، مثلما نأَخذها من الأَعجام، وآخذ منكم زيـادة على ذلك مائة من الخيل الجيّاد، فَعَظُمَ عليهم تسليم هـذا المقدار وأَنْ يكونوا مثل العجم فامتنعوا من الحجّ في مُدّتهِ كُلّها، فَلَمّا توفي وتولى سـيدنا الـشريف غالـب أَرسلوا أَيضاً يـستأذنون في الحـجّ فَمَـنَعَهُمْ وتهددهـم بالركوب عليهم، وجعـل ذلـك القـول فِعـلاً، فَجَهّـز عليهم جيشاً في سنة أَلف ومائتين وخمسة، واتصلت بينهم المحاربات والغزوات إلى أَن انقضى تنفيذ مراد الله فيمـــا أَراد، وســـيأتي شرح تلـــك الغـــزوات والمحاربات بعد توضيح ما كانوا عليـه مـن العقائـد الزائغة التي كان تأسيسها من محمد بـن عبـدالوهاب

وقد عاش من العمر سنين حتى كاد أَن يُعدّ من المنظرين فإنّ ولادته كانت سنة أَلف ومائة وإحدى عشرة، ووفاته سنة ألف ومائتين وستة، وأَرّخ بعضهم وفاته بقوله: (بها هلاك الخبيث) فعمره اثنتان وتسعون سنة، وخلّف أَولاداً أَخبث منه قاموا بنشر دعوته بعده»[1].

وقال أَيضاً عن محمد بن عبدالوهاب:

«كانَ في أَوّل أَمره مُولعاً بمطالعةِ أَخبار من ادعى النبوة كذباً كمُسيلمة الكذّاب وسَجاح والأَسود العنسي وطليحة الأَسدي وأَضرابهم، فكانَ يضمر في نفسه دعوى النّبوة، ولو أَمكنه إظهار هذهِ الدعوة لأَظهرها، وكانَ يُسمي جماعته من أَهلِ بلده: (الأَنصار) ويُسمي من اتبعه من الخارج:

١ـ خلاصة الكلام، أَحمد بن زيني دحلان، ص٢٩٨-٣٠٠، ط مصر.

(المهاجرين).

وإذا تَبعهُ أَحد وكانَ قد حجّ حجة الإسلام يقول له: حجّ ثانياً فإنّ حجّتك الأولى فَعَلتَها وأَنتَ مُشرك فلا تُقبل ولا تَسقط عنك الفرض.

وإذا أَراد أَحدٌ أَنْ يَدخُل في دينه يقول له بعد الإتيان بالشهادتين: اشهد على نَفْسِك أَنْتَ كُنتَ كافراً، وأَشهد على والديك أَنّهما ماتا كافرين، واشهد على فلان وفلان، ويُسمي له جماعة من أَكابر العُلماء الماضين أَنَهُم كانوا كُفاراً، فإنْ شَهِدوا قبلهم وإلاّ أَمَرَ بِقتلهم.

وكانَ يُصرّح بتكفيرِ الأُمة منذ ستمائة سنة، وكانَ يُكفّر كُلّ مَنْ لا يتبعه، وإنْ كانَ مِنْ أَتقى المتّقين فَيُسميّهم مُشركين ويَستحّل دِماءهم وأَموالهم، ويُثبتُ الإيمان لمنْ تَبعهُ وإنْ كانَ مِنْ أَفسقِ الفاسقين.

وكان ينتقص النبي صلى الله عليه وآله كثيراً بعباراتٍ مختلفة ويزعم أَنّ قصده المحافظة على التوحيد، فمنها أَن يقول: إنه طارش، وهو في لغة أَهل الشرق بمعنى الشخص المرسل من قوم إلى آخرين، بمعنى أَنه صلى الله عليه وآله حامل كتب مرسلة معه أَي غايةُ أَمرهِ أَنه كالطارش الذي يرسله الأَمير أو غيره في أَمرٍ لأُناس ليبلغهم إيّاه ثمّ ينصرف»[1].

وقال أَيضاً: «وكان يمنع أَتباعه مِنْ مُطالعة كثيرٍ من كُتب الفقه والتفسير والحديث، وأَحْرقَ كثيراً منها، وأَذِنَ لِكُلّ مَنْ تبعه أَن يُفَسّر القرآن بحسبِ فهمه حتى همج الهمج مِنْ أَتباعهِ، فَكانَ كُلّ واحدٍ منهم يفعل ذلك ولو كانَ لا يحفظ شيئاً من القرآن، حتى صار الذي لا يقرأ منهم يقول لمن يقرأ: اقرأ لي

١ـ المصدر السابق، ص٣٠٢-٣٠٣.

شيئاً من القرآن وأَنا أُفَسّره لك، فإذا قَرأ له شَيئاً يُفسّره، وأَمَرهُمْ أَنْ يعملوا بما فَهموه منه، وجعل ذلك مُقدماً على كُتب العلم ونُصوص العلماء.

وتَمسّك في تكفير النّاس بآياتٍ نَزلتْ في المشركين فَحَمَلها على الموحدين»[1].

ونقل الزيني دحلان الشافعي هذا الحوار بين رجل وبين محمد بن عبدالوهاب:

«وقال له رجلٌ آخر: هذا الدين الذي جئتَ بهِ مُتصل أو مُنفصل؟.

فقال له: حتى مشايخي ومشايخهم إلى ستمائة سنة كُلّهم مُشركون.

فقال له الرجل: إذن دينك مُنفصل لا مُتصل، فَعَمّن أَخذته؟.

١ـ المصدر السابق، ص٣٠٤.

فقال: وحي إلهامٍ كالخضر.

فقال له: إذنْ ليس ذلك محصوراً فيك، كُلُّ أَحَدٍ يُمكنه أَنْ يدعي وحي الإلهام الذي تدعيه.

ثُمّ قال له: إنّ التوسل مُجمعٌ عليه عند أَهل السّنة حتى ابن تيمية فإنه ذَكَرَ فيه وجهين، ولم يذكر أَنّ فاعله يَكفر، حتى الرافضة والخوارج والمبتدعة كافة قائلون بصحة التوسل به صلى الله عليه وآله فلا وجه لك في التكفير أَصلاً.

فقال محمد بن عبدالوهاب: إنّ عمر استسقى بالعباس فلم لم يستسق بالنبي صلى الله عليه وآله ؟.

ومقصد محمد بن عبدالوهاب بذلك أَنّ العباس كانَ حَياً وأَنّ النبي صلى الله عليه وآله مَيّت فلا يُستسقى به.

فقال له ذلك الرجل: هذا حُجةٌ عليك، فإنّ استسقاء عمر بالعباس إنما كانَ لإعلامِ النّاسَ صحة

التوسل بغير النبي صلى الله عليه وآله، وكيف تحتجّ باستسقاء عمر بالعباس وعمر هو الذي روى حديث توسل آدم بالنبي صلى الله عليه وآله قبل أَنْ يُخلق، فالتوسل بالنبي صلى الله عليه وآله كانَ مَعلوماً عند عمر وغيره، وإِنّما أَراد عمر أَنْ يُبيّن للنّاس ويُعلّمهم صحة التوسل بغيرِ النبي صلى الله عليه وآله.

فَبُهِتَ وتَحيّر، وبقى على عَماوته».[1]

* * *

١ـ المصدر السابق، ص٢٠٦.

وفي كتابهِ الآخر (الفتنة الوهابية) يقول أَحمد بن زيني دحلان المكيّ الشافعي:

«اعلم أَنّ السلطان سليم الثالث (١٢٠٤- ١٢٢٢هـ) حدث في مدة سلطنته فِتنٌ كثيرةٌ منها ما تَقَدّم ذِكرُه، ومنها فتنة الوهابية التي كانت في الحجاز حتى استولوا على الحرمين ومنعوا وصول الحج الشامي والمصري، ومنها فتنة الفرنسيس لما استولوا على مصر من سنة ثلاث عشرة (١٢١٣) إلى سنة ست عشرة (١٢١٦)، ولنذكر ما يتعلق بهاتين الفتنتين على سبيل الاختصار لأَنّ كُلاً منهما مَذكورٌ تَفْصيلاً في التواريخ، وأُفْرِد كُلّ منهما بتأليف رسائل مخصوصة.

أَمّا فتنة الوهابية فَكانَ إبتداء القتال فيها بينهم وبين أَمير مكة مولانا الشريف غالب بن مُساعد وهو نائب من جهة السّلطنة العليّة على الأَقطار الحجازيّة، وابتداء القتال بينهم وبينه من سنة خمس بعد المائتين والأَلف، وكان ذلك في مُدّة سَلطَنة مولانا السّلطان سليم الثالث ابن السّلطان مصطفى الثالث بن أَحمد.

(وأَمّا ابتداء أَول ظهور الوهابية) فَكانَ قبل ذلك بِسنينَ كثيرة، وكانت قوتهم وشَوكتهم في بِلادهم أَولاً، ثُمّ كَثُرَ شَرّهُم وتَزايَد ضَررهُمْ، واتّسَعَ مُلْكَهم، وقَتَلوا من الخلائق ما لا يحصون، واستباحوا أَموالهم وسَبوا نِساءهم، وكان مؤسس مذهبهم الخبيث محمد بن عبدالوهاب وأَصله من المشرق من بني تميم، وكانَ من المعمّرين، فَكادَ يُعدّ من المُنْظَرين لأَنهُ عاشَ

قريبَ مائة سنة حتى انتشر عنه ضلالهم، كانت ولادته سنة أَلف ومائة وإحدى عشرة، وهلك سنة أَلف ومائتين وستة، وأَرّخه بعضهم بقوله: (بدا هلاك الخبيث) ١٢٠٦.

وكانَ في ابتداء أَمره من طلبة العلم بالمدينة المنورة -على ساكنها أَفضل الصّلاة والسّلام- وكانَ أَبوه رَجلاً صالحاً مِنْ أَهلِ العلم، وكذا أَخوه الشيخ سليمان، وكانَ أَبوه وأَخوه ومشايخه يتفرسون فيه أَنه سَيكون منه زَيغٌ وضَلال لما يُشاهدونهُ مِنْ أَقوالهِ وأَفعالهِ ونزعاتهِ في كثيرٍ من المسائل، وكانوا يوبخونَهُ، ويُحذّرون النّاس منه، فَحَقّق الله فِراستهم فيه لما ابتدع من الزّيغ والضّلال الذي أَغوى بهِ الجاهلين، وخالَفَ فيه أَئمّة الدين، وتَوصّل بذلك إلى تكفيرِ المؤمنين، فَزَعَمَ أَنّ زيارةَ قبر النبي - صلى الله عليه

(وآله) وسلم- والتّوسل به وبالأَنبياء والأَولياء والصالحين وزيارة قبورهم شِرك، وأَنّ نداء النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم عند التّوسل بهِ شِرك، وكذا نِداء غيره من الأَنبياء والأَولياء الصالحين عند التّوسل بهم شِرك، وأَنّ مَنْ أَسْنَدَ شيئاً لغير الله ولو على سبيل المجاز العقلي يكون مُشْركاً نحو: نفعني هذا الدّواء، وهذا الولي الفلاني عند التّوسل بهِ في شيء، وتَمَسّك بأَدلةٍ لا تُنْتُج له شَيئاً مِنْ مَرامِهِ، وأَتى بِعباراتٍ مُزوّرة زَخْرَفَها ولَبّسَ بها على العَوام حتى تَبعوه، وأَلّف لهم في ذلك رَسائل حتى اعتقدوا كُفر أَكثر أَهل التوحيد.

واتصّل بأُمراء المَشرق أَهل الدرعية ومَكَثَ عندهم حتى نَصَروه وقاموا بدعوته وجعلوا ذلك وسيلة إلى تقوية مُلكِهم واتساعهِ، وتَسَلّطوا على

الأَعراب وأَهل البوادي حتى تَبِعوهم وصاروا جُنداً لهم بلا عِوض، وصاروا يعتقدون أَنّ من لم يعتقد ما قاله ابن عبدالوهاب فهو كافرٌ مُشركٌ مُهدر الدّم والمال، وكان ابتداءُ ظُهور أَمره سنة أَلف ومائة وثلاث وأَربعين، وابتداءُ انتشاره من بعد الخمسين ومائة وأَلف، وأَلّف العلماء رسائل كثيرة للردّ عليه حتى أَخوه الشيخ سليمان وبقية مشايخه.

وكانَ ممن قامَ بنُصْرتهِ وانتشارِ دَعوتهِ مِنْ أُمراء المَشرق محمد بن سعود أَمير الدرعية وكان مِنْ بني حنيفة قوم مسيلمة الكذّاب، ولما مات محمد بن سعود قام بها ولده عبدالعزيز بن محمد بن سعود.

وكانَ كَثيرٌ مِنْ مشايخ ابن عبدالوهاب بالمدينة يقولون سَيَضِلّ هذا أو يُضّل الله بهِ مَنْ أَبعدهُ وأَشقاهُ، فَكانَ الأَمرُ كذلك، وزعم محمد بن عبدالوهاب أَنّ

مُرادهُ بهذا المذهب الذي ابتدعه إخلاص التوحيد والتبري من الشّرك، وأَنّ النّاس كانوا على شِرك منذ سُتّمائة سنة، وأَنّه جَدّد للنّاس دينهم وحمل الآيات القرآنية التي نزلت في المشركين على أَهل التوحيد كقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ**﴾.

وكقوله تعالى: ﴿**وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ...**﴾، وأَمثالِ هذهِ الآيات في القرآن كثيرة، فقال محمد بن عبدالوهاب: منْ استغاث بالنبي -صلى الله عليه (وآله) وسلم- أو بغيرهِ من الأَنبياء والأَولياء والصالحين أو ناداه أو سَأَله الشّفاعة فإنّه مِثلُ هؤلاءِ المشركين، ويدخل في عُموم هذهِ الآيات، وجعل زيارة قبر النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم

وغيره من الأَنبياء والأَولياء والصالحين مثل ذلك.

وقال في قوله تعالى حكايةً عن المشركين في عبادة الأَصنام: ﴿.. مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى..﴾، إنّ المتوسلين مِثلُ هؤلاءِ المشركين الذين يقولون: ﴿.. مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى..﴾، قال: «فإنّ المشركين ما اعتقدوا في الأَصنام أَنها تَخلُق شَيئاً بل يعتقدون أَنّ الخالق هو الله تعالى بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ ...﴾ و﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ...﴾ فما حَكَمَ الله عليهم بالكُفر والإشْراك إلا لقولهم ليُقرّبونا إلى اللهِ زُلفى فَهؤلاءِ مِثلهم».

ومما ردّوا بهِ عليه في الرسائل المؤلفة للردّ عليه: أَنّ هذا استدلالٌ باطلٌ فإنّ المؤمنين ما اتّخذوا الأَنبياء -عليهم الصّلاة والسّلام- ولا الأَولياء آلهة

وجعلوهم شركاء لله، بل إنهم يعتقدون أَنّهم عَبيدُ الله مخلوقون، ولا يعتقدون أَنّهم مُستحقون العبادة، وأَمّا المشركون الذين نزلت فيهم هذهِ الآيات فكانوا يعتقدونَ استِحقاقَ أَصنامهم الأُلوهية ويُعَظّمونَها تعظيم الربوبية وإِنْ كانوا يعتقدون أَنّها لا تَخْلُق شَيئاً، وأَمّا المؤمنون فلا يعتقدون في الأَنبياء والأَولياء استِحقاقَ العبادة والأُلوهية ولا يُعَظّمونَهم تعظيم الربوبية، بل يعتقدون أَنّهم عِبادُ الله وأَحَباؤه الذين اصطفاهُمْ واجتباهُمْ وببركتِهِمْ يرحم عِباده، فَيَقْصِدونَ بالتّبرك بهم رحمةَ الله تعالى، ولذلك شَواهد كثيرة من الكتاب والسّنة، فاعتقاد المسلمين أَنّ الخالق الضّار والنّافع المستحق العبادة هو الله وحده ولا يعتقدون التأثير لأَحدٍ سِواه، وأَنّ الأَنبياء والأَولياء لا يَخلقون شيئاً ولا يملكون ضَراً ولا نَفعاً

وإنّما يرحم الله العباد ببركتهم، فاعتقاد المشركين استحقاق أَصنامهم العبادة والأُلوهية هو الذي أَوقعهم في الشّرك لا مجرد قولهم: ﴿.. **مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ** ...﴾، لأَنهم لما أُقيمت عليهم الحُجّة بأَنّها لا تستحق العبادة وهُمْ يعتقدون استحقاقها العبادة قالوا معتذرين: ﴿.. **مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى**..﴾، فكيف يجوز لابن عبدالوهاب ومَنْ تَبعهُ أَنْ يجعلوا المؤمنين الموحدين مِثلَ أولئك المشركينَ الذينَ يعتقدونَ أُلوهية الأَصْنام؟!.

فَجَميعُ الآيات المتقدمة وما كانَ مثلها خاصٌ بالكفّار والمشركين ولا يدخل فيها أَحدٌ من المؤمنين، روى البخاري عن عبدالله بن عمر عن النبي - صلى الله عليه (وآله) وسلم- في وصف الخوارج: أَنهم انطلقوا إلى آياتٍ نَزلت في الكُفّار فحملوها على

المؤمنين.

وفي رواية عن ابن عمر أَيضاً أَنه - صلى الله عليه (وآله) وسلم - قال: «أَخوف ما أَخاف على أُمتي رجلٌ يتأولُ القرآن يضعه في غير موضعه»، فهو وما قبله صادقٌ على هذهِ الطائفة.

ولو كانَ شيءٌ مما صنعه المؤمنون من التّوسل وغيره شِركاً ما كان يصدر من النبي -صلى الله عليه (وآله) وسلم- وأَصحابه وسَلف الأُمّة وخَلفها، ففي الأَحاديث الصحيحة أَنه -صلى الله عليه (وآله) وسلم- كان من دعائه: «اللّهُمَّ إني أَسألك بحقّ السائلين عليك»، وهذا توسّل لا شَكّ فيه، وكانَ يُعلّم هذا الدّعاء أّصحابه ويأمرهم بالإتيان بهِ، وبَسطُ ذلك طويلٌ مَذكورٌ في الكُتب وفي الرسائل التي في الردّ على ابن عبدالوهاب.

وصَحّ عنه أَنه -صلى الله عليه (وآله) وسلم- لما ماتت فاطمة بنت أَسد أُم عليّ -رضي الله عنها- أَلحدها -صلى الله عليه (وآله) وسلم- في القبر بيده الشريفة وقال:

«اللّٰهُمَّ اغفر لأُمي فاطمة بنت أَسد ووسّع عليها مدخلها بحقّ نَبيّك والأَنبياء الذين مِنْ قَبلي إِنّك أَرحمُ الراحمين».

وصَحّ أَنه -صلى الله عليه (وآله) وسلم- سَأَله أَعمى أَنْ يَرُدّ الله بصرهُ بِدعائهِ، فَأَمَرهُ بالطّهارة وصلاة ركعتين ثُمّ يقول: «اللّٰهُمَّ إِني أَسألك وأَتوجه إليك بِنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد إِني أَتوجه بِكَ إلى ربي في حاجتي لتُقضى، اللّٰهُمَّ شفّعه فيّ»، فَفَعَلَ فَرَدّ الله عليه بَصرهُ.

وصَحّ أَنّ آدم عليه السلام توسّل بنبينا -صلى الله عليه

(وآله) وسلم- حين أَكَلَ من الشجرة لأَنه لما رأى اسمه -صلى الله عليه (وآله) وسلم- مَكتوباً على العرش، وعلى غُرف الجنّة، وعلى جِباه الملائكة، سَأَلَ عنه فقال الله له: هذا وَلَدٌ مِنْ أَولادك، فقال: اللّهُمَّ بحُرمةِ هذا الولد ارحمْ هذا الوالد، فَنودِي: يا آدم لو تَشفّعتَ إلينا بمحمدٍ في أَهلِ السّماءِ والأَرض لَشَفّعناك.

وتوسّل عمر بن الخطاب بالعباس رضي الله عنه لما استسقى النّاس، وغير ذلك مما هو مشهور فلا حاجة إلى الإطالة بذكرهِ، والتوسل الذي في حديث الأَعمى قد استعمله الصّحابة السلف بعد وفاته -صلى الله عليه (وآله) وسلم- وفيه لفظ: «يا محمد»، وذلك نداء عند المتوسل.

ومَنْ تتبع كلام الصحابة والتابعين يجد شيئاً

كَثيراً مِنْ ذلك كقول بلال بن الحارث الصحابي ﷺ عند قبر النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم: «يا رسول الله استسق لأُمتك»، كالنداء الوارد عن النبي -صلى الله عليه(وآله) وسلم- عند زيارة القبور.

وممن أَلّف في الرد على ابن عبدالوهاب أَكبر مشايخه وهو الشيخ محمد بن سليمان الكُردي مؤلف حواشي شرح ابن حجر على متن بافضل، فقال من جملة كلامه: (يا ابن عبدالوهاب إني أَنصحك لله تعالى أَنْ تَكُفّ لسانك عن المسلمين، فإنْ سَمعتَ من شخصٍ أَنه يعتقد تأثير ذلك المستغاث بهِ من دون الله فعرّفه الصّواب، وأَبِنْ له الأَدلة على أَنه لا تأثير لغيرِ الله، فإنْ أَبى فَكَفّره حينئذ بخصوصهِ، ولا سبيل لك إلى تكفير السّواد الأَعظم من المسلمين وأَنتَ شاذٌ عن السّواد الأَعظم، فنسبةُ الكفر إلى مَنْ

شَذّ عن السّواد الأَعظم أَقرب لأَنه اتّبع غير سبيل المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا﴾، وإنّما يأكل الذئب من الغنم القاصية)».[1]

* * *

١ـ فتنة الوهابية، أحمد بن زيني دحلان، ص٣-٩.

(قائمة المصادر)

١- القرآن الكريم.

٢- رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عابدين الدمشقي الحنفي، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٩هـ.

٣- السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، محمد بن حميد النجدي الحنبلي، ط الأولى، مكتبة الإمام أحمد، ١٤٠٩هـ.

٤- خلاصة الكلام في بيان أُمراء البلد الحرام، أحمد بن زيني دحلان المكي الشافعي، تحقيق: محمد حسن الشافعي الشيخ ورأفت عبدالعزيز، ط الأولى،

دار أرض الحرمين، مصر، ١٤٢٩هـ.

٥- الفتنة الوهابية، أحمد بن زيني دحلان المكي الشافعي، اعتنى به: حسين حلمي بن سعيد الأَسطنبولي، ط مكتبة أَشيق كتاب أوى، تركيا، ١٩٧٨م.

٦- كشف الخفا عن عيث الوهابية بكتب العلما، الدكتور الشيخ علي عايد مقدادي الحاتمي الأردني، ط الأولى، دار النور المبين، الأُردن، ٢٠١٩م.

(قائمة المحتويات)

المدخل:..... ٧

الفصل الأول: إمام الحنفيّة ومُفتي الدّيار الشاميّة محمد أَمين بن عابدين الدمشقي الحنفي، المتوفى عام ١٢٥٢هـ ١٣

الفصل الثاني: إمام الحنابلة ومُفتي المذهب الحنبلي في مكّة المكرّمة محمد بن عبدالله بن حُميد النّجدي الحنبلي المتوفى عام ١٢٩٥هـ ١٩

الفصل الثالث: إمام الشافعيّة ومُفتي المذهب الشافعي في مكة المكرمة أَحمد بن الزيني دَحلان المكي الشافعي المتوفى عام ١٣٠٤هـ ٢٥

قائمة المصادر..... ٥٣

قائمة المحتويات ٥٥